

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW. almadasupplements.com

العدد (4624) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (4) آذار 2020

أمين معلوف

تأريخ ما أهمله التاريخ..

رواية (ليون الإفريقي) لـ أمين المعلوف

ظل التاريخ والكتابة فيه همأ مؤرقاً وضاعطاً على الباحث والروائي اللبناني الشهير أمين المعلوف، المولود سنة١٩٤٩، والعامل في الصحافة اللبنانية حتى سنة ١٩٧٦، ففي هذه السنة المفصلية في حياة أمين المعلوف، يقرر مغادرة وطنه الذي أحب، وهو يرى أن الحرب الأهلية التي استعرت في السنة الماضية، لا أمل في وضع نهاية لها، وظلت تسعر بعد مغادرة أمين بلده، أكثر من عقد من الزمان، وجد نفسه في فرنسا الحرية والديمقراطية ليكتب من غير خوف ولا وجل، واضعين في الحسبان الوضع النفسي والهوياتي الذي تحياه الأقليات في الوطن العربي منذ قرون، واضطرت إلى الهجرة والرحيل نحو أرض الله الواسعة، لذا رأينا الجاليات العربية في امريكا الشمالية فضلا عن الجنوبية.

التاريخية المحمية الرائعة هذه (ليون الإفريقي)، يبدها بسنة ١٤٨٩، ممهدا لسنة سقوط غرناطة ١٤٩٢، وتوضيحا للأمر فإنه يطلق على كل عام من هذه الأعوام، اسما فالسنة هذه ١٤٨٩ سنة سلمى الحرة، وسلمى في الرواية هي أم الحسن بن محمد

الوزان، ويظل أمين المعلوف يبحر بنا في روايته المتعة معرفيا حتى عام٩٣٣ للهجرة (٨/ تشرين الأول١٥٢٦-٢٦/أيلول ١٥٢٧) ويسمياها سنة الجنود الألمان المرتزة، الذين يعيشون فسادا وقتلا واغتصابا وحرقا لروما، هؤلاء الألمان اللوثريون، الذين سيطر الراهب الألماني مارتن لوثر على عقولهم، مصورا الكرسي البابوي شرأ مستطيرا؛ أتوا من الأفعال المنكرة ما لا يخطر على بال أقسم بالله الذي جعلني أجوب العالم التاسع، اقسام بالله الذي سامني عذاب القاهرة كما سامني عذاب غرناطة، لم أر في حياتي مثل تلك الوحشية ونك الحقد، وذلك العنف الدموي، وذلك التلذذ بالذبح والدمار والتدنيس؛

في (ليون الإفريقي) التي ترجمها إلى العربية مباشرة من الفرنسية؛ الأديب المترجم المتمكن الدكتور زهير مجيد مغامس سنة ١٩٩٢، في ضمن المشروع الترجعي المهم (روايات الشمس)، الذي قدم لنا نخبة من الروايات العالمية المختارة منقولة من لغاتها الأصلية،وقد أوقف هذا المشروع الثقافي المهم،الذي لم يقف عنده الدارسون؛ أوقفه الحصار المدمر الذي فرض على العراق في آب/ أغسطس ١٩٩٠.

يقسم أمين المعلوف روايته هذه إلى كتب أربعة (كتاب غرناطة)،وثانيا (كتاب فارس) ومن ثم (كتاب القاهرة)،وأخيرا (كتاب روما)، وإذا كان أكثر المؤرخين العرب المسلمين، وهم يكتبون كتبهم التاريخية إنما يقسمونها إلى حويليات؛ إلى أعوام وفي الذهن تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) أو (تاريخ الأمم والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٥٢١) الذي يفتتح تاريخه بالعام الأول للهجرة النبوية المباركة، ونكر ما كان من الأمور ومنها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أول جمعة جمعها في المدينة المنورة،والتخت كتابه بالعام الهجري الثاني، بعد العتلات مئة،ونهجته النهج ذاته غالب كتب التاريخ العربية، فإن أمين المعلوف اقتربا من روح الدرر ذاته، فإنه يؤرخ في رواياته هذه لنحو أربعين عاما من حياة الحسن بن محمد الوزان، مدونا العام الهجري وما يوافقه من السنة الميلادية، ليبدأ بالعام الهجري ٨٩٤ وما يوافقه من السنة الميلادية (٥/ كانون الأول ١٤٨٨-٢٤/ تشرين الثاني ١٤٨٩) . إنه لكي يقدم صورة بانورامية واضحة للحياة في مدينة غرناطة، فإنه يبدأ روايته

أسيدقني الناس لو قلت إن جنوداً مرتزةً ألماناً مبنهجين قد اغتصبوا بعض الراهبات على منبح الكنائس قبل أن يخنقونهن؟ اسيدقني الناس لو قلت إن الصوامع قد نهبت، وإن الرهبان قد جردوا من ملابسهم وأجبروا تحت تهديد السوط على أن يطاؤا له بخلجات نفسه لأستانه ليون الإفريقي، والشيطان الرجيم، وإن مخطوطات المكتبات القديمة أذكت نيران فرح كبيرة كان يرقص حولها جنود سكارى، وليس من ضريح، أو قصر أو دار قد سلم من النهب، وإن ثمانية آلاف مدني قد هلكوا، وبخاصة من الفقراء، في حين أحتجز الأغنياء رهائن إلى أن يدفعوا فدية؛”ص٥٠

لكن الألماني هانس الذي قدم له الحسن بن محمد الوزان، الذي سيسمي ليون الإفريقي في بلاط البابا ليون العاشر، قدم له خدمات جلى؛ علمه وبرسه يوم أوكل إليه البابا، الذي تجلب أصابعه الناعمة انتباه ليون الإفريقي، التي تتبسه أصابع من لم يعمل بيديه قط،، أوكل إليه البابا ليون العاشر

تعليم سبعة من التلاميذ، منهم الألماني السكسوني هانس، الذي وضع بين ناظري ليون الإفريقي المعركة الناشبة بين ليون العاشر والراهب لوثر، وهو حدث كان ينذر بتخريب أوربة برمتها، ويجلب على رومة المصائب والبلايا، وكان هانس يأمنه فيبوح له بخلجات نفسه لأستانه ليون الإفريقي، وكرهه للبابوية قائلا ما جدوى البابا ما جدوى الكراثة؟ أية آلهة يعبد الناس في روما هذه التي ليس لها من هم آخر غير ترفها؟ هذه الآراء الصادمة تدفع ليون إلى أن يبتعد عن هذا اللوثري المتعصب، الذي يصل به الكره والتعصب إلى وصف روما بالمدينة المعونة؛

لقد حفظ هانس الود والثقة المتبادلة، فينقذه من هذه المفاجعة التي ألت بروما، فيوصله وزوجته (مادلينا) وولده (جوسيب) إلى مدينة نابولي حيث يعمل صديقه التونسي عبدة السوسي) والذي كان في انتظاره وهو الذي حته مرارا على مغادرة روما، وهو ينظر إلى الآتي من ظهر الغيب؛ العصف

يعدُّ المفكر والروائي اللبناني (أمين معلوف) الذي يكتبُ باللغة الفرنسية من القلائل الذين تمكنوا من تجاوز الحزازات الأيدولوجية بأشكالها وألوانها المختلفة،من هنا تأتي ضرورة دراسة وقراءة أفكاره التي تصبو إلى نزع الشرعية من مروجي الأوهام الذين يزعمون بأن اختلاف الدين والقومية والطائفية ينسف قنوات التواصل ويمنع الإنضواء تحت مبادئ مشتركة.

كه يلان مُحَمَّد

إن يتمثل هدف صاحب (ليون الإفريقي) له من كتابة أعماله الروائية ودراساته في إظهار سمو الإنسان وخطأ ترهين قيبة الإنسان بإنتماءات قبلية ، إذا كان غيره يروق له تسويق مفهوم صراع الحضارات ويعمل لدق الأسفنج بين الشرق والغرب فإن مؤلف (الهويات القتالة) يحاول نقض هذه النظريات مستندا إلى وعي عميق بالعوامل التي تحتمُّ وجود تواصل بين حضارتين.

المبدأ الإنساني

إن وصول أمين معلوف إلى الأكاديمية الفرنسية حيث يشغل المقعد التاسع والعشرين بعدما غيب الموت سلفه كلود ليفي شتراوس نهاية ٢٠٠٩ دليل على أن الأفكار النابعة من المبادئ الإنسانية تسمو على الإنتماءات الفرعية وتجذُّ مقامها في المحافل التي تسعى لإيجاد أفق أرحب لتطلعات البشرية،وبما أنَّ أمين معلوف شغوفا بالبحث عن الجذور لذلك فهو يروي في كتابه الجديد الصادر من دار الفارابي ٢٠١٧(مقعد على ضفاف السن) مضيفا إليه عنوانا توضيحيا أربعة قرون من تاريخ فرنسا،جانبا من حياة الأسلاف الذين تعاقبوا على المقعد الذي يشغله الآن ويُلقي الضوء على ما أضافه هؤلاء المفكرون والفلاسفة بأعمالهم الأدبية والعلمية إلى دروب المعرفة،كما يضع القاريء في التحولات العاصفة التي مرت بها فرنسا وتداعياتها الجسيمة على مسار التطور الفكري ، زُد على ذلك ما يكشفه من خلال هذا الكتاب عن تشابك بين الحقول المعرفية والتيارات السياسية إذ تتباين المواقف بهذا الشأن ثمة من لايرى ضيرا أن يجعب بين اهتماماته المعرفية والإشتغال في كواليس

أمين معلوف يبحثُ عن سلالاته المعرفية في الأكاديمية الفرنسية

المرءُ ماذا يمكنُ أن يقال بعد بهذا الشأن) يضاف بيير فلورانس أيضا إلى النخبة التي ساهمت في الدفع بعجلة العلم نحو مرحلة جديدة إذ يعدُّ فلورانس من طليعة الباحثين الذين فطن إلى خصائص الكلوروفوم بل يعزى إليه إكتشاف التخدير وإنتشاره في المجال الطبي.

هنا لاينتقل لك أمين معلوف عما أنجزه فلورنس فقط بل يقارن بين مسار التطور العلمي المتدرج وما أبدعه الإنسان على الصعيد الأدبي والفني ويكشف بأنه يصعب إلى شخص بعينه إنما مايتوصل إليه الإنسان من تطورات عملية ليس إلا نتيجة لتراكمات سابقة كما لاتأتي نظرية جديدة إلا لتتقضى ماسبقها من أفكار ونظريات أخرى بينما الأمر في عالم الأدب يختلف إذ مهما تقادمت الأزمان على النصوص الأدبية أو على المنحوتات التي أنجزتها الحضارات السابقة لاتغير أبعادها الجمالية كما لايمكن أن نجد لها بديلا فيما يقدمه الأدياء الجدد

والفنانون المعاصرون.
يبدونُ أمين معلوف بجانب توثيقه تجربة الأعضاء الذين شغلوا المقعد التاسع والعشرين نقفا من الوقائع التي تُعتبر مفصلية في تاريخ فرنسا مثل إلغاء لويس الرابع عشر لرسوم نات في ١٦٨٥و على إثر هذا القرار نزع البرونستات بأعداد كبيرة إلى دول أوروبية أخرى،كما تشهد فرنسا حملة ضد اليسوعيين وتغلق مؤسساتهم وتصادر أملاكهم سنة ١٧٦٢.بالمقابل تحققي باريس بعودة الفيلسوف العقلاني فولتير وينضمُّ الأخير إلى المحفل الماسوني في إطار احتفال مهيب،هذا ويلتف أمين معلوف إلى إلغاء الأكاديمية الفرنسية سنة ١٧٩٢ بموجبِ مرسوم صادر من المؤتمر الوطني. ويصف الكاتبُ مرات به فرنسا بالجموح الدموي إذ لم تغف هذه الموجة حتى بعض

شخصيات إستلهمها الثوار أمثال غرار كوندروسي الذي إنتحر قبل أن يُشنق على مرأى الجماهير،كما يتوقف الكاتب عند مرحلة مأسمت بكمونة باريس وإمتداداتها على مستقبل فرنسا، ويلقى شبح الإحتلال

النزاعي بظلاله على الأكاديمية حيث غيب الموت بعض أعضائها دون إنتخاب من يحل حزين سياسي إنما بين الملحن الألماني كريستوف غلوك ونيكولو بييتشيني وصلت الخصومة بين أنصار هذين اللوين من الموسيقى إلى درجة لا أحد يرضى بأن يقابل قبل التاكيد إن كنت من مؤيدي لوغوك أو بييتشيني حسبما ينقله صاحب الكتاب على لسان زائر إنكليزي إلى باريس،وهذا ماينكرنا بما يقدمه جورج قرم في كتابه (تاريخ أوروبا وبناء أسطورة) الأكثر من ذلك يعرض صاحب (التألهون) بالتفصيل الظروف التي نشأت في ظلها الأكاديمية فهذه المؤسسة العريقة هي ثمرة لحلقة نقاش مجموعة من الأصدقاء المهتمين بشؤونُ الأدب ساندها أقوى رجل في فرنسا الكاردينال يشوبليو إلى أن أصبحت صرحا أكاديميا عريقا، ويذكر أمين معلوف أن كتابه جزءا من دين يسدده جوزيف ميشو فالأخير كان مهتما بالتاريخ زار مصرو اليونان والأناضول وكتب عن تاريخ الحروب الصليبية.

كنتيجة لتدخلات السلطة السياسية، وهذا

مايحصل بالنسبة لدوكالير خامس شخص يشغل المقعد التاسع والعشرين إذ على رغم مناهب إليه البعض بأنه أصبح عضوا للأكاديمية عقب إطرانه للويس الرابع عشر بيد أن سان سيمون يعقد على دو كالير المديح واصفا إياه برجل طيب وبالغ الحصافة،كذلك يتمُ الاعتراف بموهبة (فليبي كيتو) في كتابة النصوص الأوبرالية مع أنَّ إنتخابه عضوا في الأكاديمية مارق لأبناء عصره بما فيهم بوالو كما طاله نقد رجال الدين مؤلف مؤلف لون جديد من كتحص من الشرعية بالمفسد لكن الإراء ستتغير بعد عقود ويجدُ (كينو) نصيرا لأعماله ومن ضمنهم فيلسوف التنوير الفرنسي لايفسر نك كأساءة إلى من يُعدُّ رابعا لك مُصاحبا لقرارات إختيار الأعضاء الجدد ، وعندما كان يفضل فرانسو هنري سالامون على كورنאי يُعلق الفيلسوف (دالامبير) على ذلك الموقف بكلمات قاسية قائلا (لقد تعبر عضو الأكاديمية)، لانتقطع الصلة بين سلطة الملك و الأكاديمية وكان يستجيبُ الملك لمايمل عليه رجال الكليروس فيما يتعلق بالرتشين للموقف مقاعدا الأكاديمية إلى أن رجحت الكفة لصالح الفلاسفة والمفكرين بفضل السيدة دو بومبادور التي ستصبح فعليا ملكة فرنسا فالأخرة من أشد المعجبين وإقصاء غيرها.

إنحسار دور رجال الدين

أمين معلوف

من الذاكرة إلى صراع الهويات



كان قد نشر خمس روايات وكتاب عن الحروب الصليبية حين جعلته الأوساط الادبية والثقافية الفرنسية عام ١٩٩٣ ثاني عربي بعد الطاهر بن جلون يفوز باكر جوائزها الادبية " غونكر " عن روايته " صخرة طانيوس - كان بن جلون قد فاز بالجائزة عام ١٩٨٧ عن روايته ليلة القدر - .ففي صخرة طانيوس يستعيد الراوي طفولته في جبل لبنان عندما كان يتسلق الصخور مع رفاقه، ويتجنبون صخرة طانيوس خوفاً من لعنتها. قال معلوف إنه اراد الكتابة عن بلده لبنان في " صخرة طانيوس " ، بعد ان مضى على مغادرته له ما يقارب العشرين عاما - غادر لبنان عام ١٩٧٥ - فركّز على إنسانية الشخصيات ولا سيما النساء : " اعتقدت من رغبتني في كتابة شيء عن لبنان، عن جو لبنان، وهي رغبة تساورني منذ زمن بعيد.

علي حسين

بعد خمسة كتب لم اعترض في اي منها مباشرة للمسألة اللبنانية، تصور ان رغبة حارة تملكتني، في شكّل او في آخر. الحقيقة انني ترددت كثيراً قبل ان اختار المرحلة التي سأحدث عنها، والشخصيات التي ستمثّل الرواية. وفي نهاية الامر وجدت نفسي اعود الى مناخ القرية، المناخ الذي حدثت عنه كثيرا، من أشخاص

كثيرين. وحسبت امري اخيراً فاتخذت كنقطة انطلاق، حادثة حقيقية وقعت في محيط عائلتنا . رأى النقاد ان " صخرة طانيوس " استعادة لحكاية لبنان، حيث يقدم لنا معلوف باناروما اجتماعية سياسية ، نتعرف على القرية التي يحكمها الشيخ فرنسيس حكما مطلقا ، تبدأ الرواية بوصف دقيق للشيخ فرنسيس ، حيث يصوره لنا بملامح الأب، الحنون والقياسي في آن واحد ، الذي يستغل رعاياه ويعاملهم كابنائهم ويحميهم، ينلهم وفي نفس الوقت يدافع عن كرامتهم. صورة الاب هذه يقول عنها معلوف انها : " صورة الماضي. وفي هذه النقطة بالذات كان واضحا همّ الكاتب التعبير عن امر مهم: هم الصورة التي ترتبط بجنيتيه الى الماضي، الحنين الممتزج ببعض التحفظ ، فانا لذي حنين معين للماضي على علاته. وربما لو كان عليّ ان اوجز ما يعنيه هذا الشيخ بالنسبة الي، سأقول انه يرمز الى علل الماضي "

طانيوس الذي يثير اسمه الفضول ، ولان الجدل لم يشأ ان يخبر الصبي - الراوي - بسر طانيوس هذا وصخرته واكتفى بما يعتقد انه يجوز له التصريح به لصبي صغير : " كان طانيوس ابن ليما ، لا بد انك سمعت بها ، لقد حدث ذلك منذ زمن سحيق ، لم تكن قد ولدنا بعد " . يقول معلوف ان صخرة طانيوس كانت إشارة إلى البطولات الوهمية التي ملأت كتب التاريخ ، ليصل الى نتيجة ان الحرب الاهلية التي عصفت بلبنان من عام ١٨٤٠ الى ١٨٦٠ كانت حصيلة انظمة لانزال نتوارثها : " احب ان أغير العالم القديم، ولكن، في الوقت نفسه، أشعر بالحاجة احسن منه في أي حال من الاحوال. بعد كل ما حدث في لبنان، وبعد كل ما حدث في العالم، صار يخامرني الشعور بأننا ربما كنا دائماً بحاجة الى ازالة العالم القديم، ولكن شرط ان نضع مكانه ما هو افضل، فالمهم ان ننقدم الى الامام، لان ان تحطم ما هو قائم وحسب "

ولد امين معلوف في الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٤٩ لعائلة من الشعراء والكتاب، وسيضع معلوف حدثا مرافقا لولادته في آخر كتبه غرق الحضارات - ترجمته الى العربية نهضة الفكر والعلم... ولا بد من ان نذكر العالم كله بأن الدين الاسلامي

الاربيعي في رواية امين معلوف الشهيرة " سمرقند " . مضى دراسته الابتدائية في بيروت ، اراد الاب لابنه ان يدخل مدرسة انكليزية ، لكن الام اصرت ان يدرس امين في مدرسة فرنسية ، وتركت لآب ان يختار لبناتنه الثلاثة المدرسة التي يرغب بها ، في البيت هناك مكتبة الوالد التي تضم مئات الكتب من التراث والشعر العربي ، لكنه سيعشق قراءة الاب الكلاسيكي العربي ، تشارلز ديكنز ، تولستوي ، بلزاك ، فكتور هيغو ، وسجدهتسا في كتابه البدايات الصادر عام ٢٠٠٤ والذي يبدأ فيه باستعراض مشهده وفاة والده وينتهي بإعادة سرد حكاية عائلته ، عن عشق والده للفنون والاداب : " أنا محظوظ بأب فكان كان يحدثني على الدوام عن مالارميه،

الغربية عفيف دمشقية - لم يثر الكتاب في بداية صدوره الانتباه الى هذا اللبناني الذي يكتب في الصحافة الاقتصادية ، لكن عقله مشغول بما يجري في وطنه والذي يشكل العنصر الأساس في كتاب " الحروب الصليبية كما رآها العرب " ، ذلك أننا نعرف أنه طوال القرون التي تلت الحروب الصليبية، ظلت هذه الحروب تروى الى العالم من وجهة نظر الغرب الأوروبي الذي قام بها، ولهذا كان شاغلا لمعلوف وهمه الذي يغرني به وجه أوريان . انه عمر الحروب، علينا بدورنا وبإلاستناد الى عدد من كتب المؤرخين المسلمين والعرب الذين تناولوا تلك الحروب .

لم يحصد الكتاب اي نجاح وظلت نسخة مكرونة على الازف ، فمن يقرأ لكتاب عربي حكاية الحروب الصليبية التي صدرت عنها الاف الكتب . بعد اشهر من صدور " الحرب الصليبية " وما رافق الكتاب من فشل ، سيبتكر مخطوطته الروائية ، وسرعان ما سيكتشف ليون الافريقي : " عجزت على رغبتني الاساسية في كتابة الرواية ، هذه الرغبة القديمة والمكبوتة بداخلي " لم يخبر احد بالأمر حتى زوجته قال لها انه يكتب كتابا تاريخيا عن سقوط غرناطة ، يتذكر انها ابتسمت وهزت يدها ، فلا يزال الكتاب التاريخي الاول مكرونا

الثاني بعد الروائية الجزائرية آسيا جبار ليحتل الكرسي الذي كان يشغله قبله المفكر وعالم الأنتروبولوجيا، وأحد مؤسسي البنيوية، كلود ليفي ستروس. وذلك الكرسي في الأكاديمية الفرنسية، يحمل الرقم ٢٩، وشغله قبل أمين معلوف ١٨ مفكرا وكاتبا وأديبا فرنسيا منذ بيير بارदान المتوفي عام ١٦٣٥، وحتى كلود ليفي ستروس، الذي رحل في ٢٠٠٩.

انتخب أمين معلوف عام ٢٠١١، عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وهو ايضا العربي الذي حصل على صنف السنين .. أربعة قرون من تاريخ فرنسا، والذي صدر عام ٢٠١٧. وفي الكتاب يختتم معلوف حكاياته مع سلفه المباشر كلود ليفي ستراوس " ذاك الذي كان يكن محبة للحضارات الهشة" ويدخل إلى الأكاديمية الفرنسية في عام ١٩٧٤، مؤكداً في خطابه الأول على قيمة حضارات المنسيين، فيستغرق العشر دقائق الأولى من كلمته في عقد مقارنة بين حفل الأكاديمية الفرنسية، والطقوس التي كان يمارسها الهنود الحمر، ويخلص في نهاية المقارنة إلى أن التشابه بين الطقوس يعكس وجود الحضارات الحالية. من غير المقبول لأي حضارة أن تسحق أخرى، حيث لا تستحق أي حضارة - أي مجتمع، أية قصة، أية لغة، أي فن - أن تندثر، لا على ضفاف نهر الأمازون، ولا على ضفاف نهر السين "

وفي نهاية الكتاب، يشير أمين معلوف إلى أن ستراوس ظل يدافع عن نظريته بأنه لا يحق لأي كان أن يعتبر حضارته أرقى من الحضارات الأخرى، وأن الإنسانية ليست في حاجة إلى ثقافة واحدة، بل إلى عدة ثقافات تعكس تنوع الشعوب، وقدرتها على الابتكار.

في كتابه الجديد، الذي اختار له عنوان " غرق الحضارات " الصادر عام ٢٠١٩ - ترجمته الى العربية نهلة بيضون- يحاول معلوف إكمال ما بدأه في مشروعه حول "الهويات القتالة" وفيما بعد في كتابه اختلال العالم " وفي كتابه الجديد يعود بنا إلى ذاكرته وطفولته، علنه يستطيع من خلالها تفسير أسباب سقوط مدن مثل بغداد، وطرابلس، والقاهرة ودمشق وغيرها.

فتحن نتابع حكاية الشاب معلوف، الذي وُلِد في عالم عربي مستقر ، قبل أن تأتي رياح الأيديولوجيا وزعماء الطوائف ا، ولائحة الثورات المحافظة في ثمانينيات القرن العشرين، لتحوّله إلى عالم ضيق. قال جيمس جويس أنّ إعادة بناء دبلن اذا دُمّرت يوما، يمكن ان تتم من خلال الرواية ، وفي غرق الحضارات يحاول امين معلوف اعادة بناء حياته من خلال كتاب اشبه بالرواية ، ولئن أُرِخ أو لا حياة عائلته وغربتها في كتابه " البدايات " وتشم هذه العائلة وجبرتها في " اختلال العالم " فإنه ينتقل في " غرق الحضارات " الى ان يقدم لنا بانورااما عما جرى منذ الخمسينيات حتى يومنا هذا من خلال اكتشافه رموزاً جديدة لصراع الحضارات وتقاطعها خلال بحثه عن روح مدينته بيروت . يتابع بحثه في كتابه الأخير ، ويسجل تراجع الماضي وتحول المدينة بأيدي أصحاب الهويات المتغلقة الى مجرد طوائف تبحث كل واحدة منها عن حقها لوحدها في العيش .

امسن تم منح امين معلوف ، وسام الاستحقاق الوطني الفرنسي ، وقد قال تعليقا على تكريمه هذا : " أنّ الجنوح الذي تشهده البشرية في أيامنا الراهنة ان ننتبه الى ازمة الهوية التي نعيشها قبل ان يمزّ الطوفان على مدتنا "

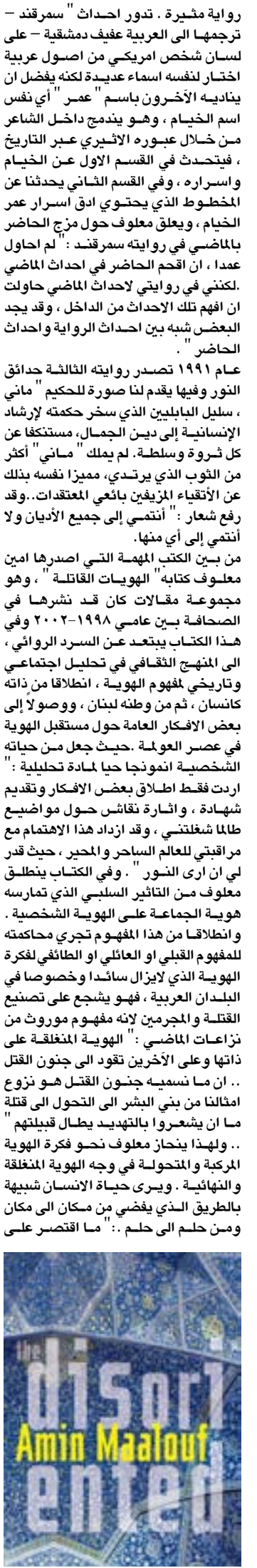
تسميته هوية هي جملة عناصر ، لا تقتصر على الواردة في السجلات المدنية الرسمية من اسم وشهرة وتاريخ ومكان ولادة ولون البشرة ولون العينين ، بل هي أكثر من ذلك بكثير . بالنسبة للسواد الأعظم من الناس هي في نظرهم الانتماء القبلي والقومي والطائفي والديني والمذهبي ، والقائمة تطول بالسواتر التي يتغرس الناس خلفها في النواذب والصدامات

عام ١٩٩١ تصدر روايته الثالثة جداول النور وفيها يقدم لنا صورة للحكيم " ماني الإنشائية إلى دين الجمال، مستنكفا عن كل ثروة وسلطة. لم يملك " ماني " أكثر من الثوب الذي يرتدي، مميزاً نفسه بذلك عن الأتقياء المزيفين بانثي المعتقدات..وقد رفع شعار : " انتسي إلى جميع الأديان ولا أنتقي إلى أي منها.

من بين الكتب المهمة التي اصدرها امين معلوف كتابه "الهويات القتالة" ، وهو مجموعة مقالات كان قد نشرها في الصحافة بين عامي ١٩٩٨-٢٠٠٢ وفي هذا الكتاب يتعد عن السرد الروائي، الى المنهج الثقافي في تحليل اجتماعي وتاريخي لمفهوم الهوية ، انطلاقا من ذاته كإنسان ، ثم من وطنه لبنان ، ووصولاً إلى بعض الافكار العامة حول مستقبل الهوية في عصر العولمة .حيث جعل من حياته الشخصية اتمونجا حيا لمادة تحليلية : " اردت فقط اطلاق بعض الافكار وتقديم شهادة ، وإشارة نقاش حول مواضيع طالما شغلنتني ، وقد ازداد هذا الاهتمام مع مراقبتي للعالم الساحر والمخبر ، حيث قدر لي ان ارى النور " . وفي الكتاب ينطلق معلوف من التأثير السلبي الذي تمارسه هوية الجماعة على الهوية الشخصية .

وانطلاقا من هذا المفهوم تجري محاكمته للمفهوم القبلي او العائلي او الطائفي لفكرة الهوية الذي لايزال سائدا وخصوصا في البلدان العربية ، فهو يشجع على تصنيع القتل والمجرمين لأنه مفهوم موروث من تزعاعات الماضي : " الهوية المتغلقة على ذاتها وعلى الآخرين تقود الى جنون القتل .. ان ما نسجه جنون القتل هو نزوع امثالنا من بني البشر الى التحول الى قتلة ما ان يشعروا بالتهديد يطال قبيلتهم .. ولهذا ينحاز معلوف نحو فكرة الهوية المركبة والمتحولة في وجه الهوية المتغلقة والنهائية . ويرى حياة الانسان شبيهة بالطريق الذي يفضي من مكان الى مكان ومن حلم الي حلم : " ما اقتصر على

رواية مثيرة . تدور احداث " سمرقند - ترجمها الى العربية عفيف دمشقية - على لسان شخص امريكي من اصول عربية اختار لنفسه اسماء عديدة لكنه يفضل ان يناديه الآخرون باسم " عمر " أي نفس اسم الخيام ، وهو يندمج داخل الشاعر من خلال عبوره الاثري عبر التاريخ ، فيتحدث في القسم الاول عن الخيام واسراره ، وفي القسم الثاني يحدثنا عن المخطوط الذي يحتوي ادق اسرار عمر الخيام ، ويعلق معلوف حول مزج الحاضر بالماضي في روايته سمرقند : لم احاول عددا ، ان اقحم الحاضر في احداث الماضي لكنني في روايتي لاحداث الماضي حاولت ان افهم تلك الاحداث من الداخل ، وقد يجد البعض شبه بين احداث الرواية واحداث الحاضر " .



أمين معلوف في مواجهة هنتنغتون: من نحن؟ وما هويتنا؟

أحمد صلاح

على عكس العالم الأميركي صموئيل هنتنغتون، وأطروحته «صدام الحضارات» التي لم تعد تلقى قناعة تامة في العالم، يدعو أمين معلوف إلى أطروحة أخرى، تسعى إلى التكامل بين البشر والحضارات، وذلك في كتاب له صدر منذ أيام باللغة الفرنسية، بعنوان «غرق الحضارات»، عن دار النشر الفرنسية العريقة «جراسيه».

نفسها على الضمير الإنساني لأنها كانت كاشفة سببها، فقد كان القلق يسيطر عليه منذ قرابة عشرين عاماً من مغيبه ظهور الهويات الدموية، خصوصاً في ظل انتشار عمليات التشويش الفكري، وغيبان النظم الاجتماعية العادلة الذي يسيطر على العالم أجمع منذ ما يربو على العشرة أعوام، الأمر الذي دفعه لأن يتبنى قناعة تامة كاملة مفادها: «إننا على عتبة غرق شامل يؤثر على جميع جنات الحضارة».

المصادقية الأخلاقية

يعزز المؤلف أطروحته هذه بالتأكيد على حالة التحولات الكبرى التي تضرب العالم أجمع، وتنعكس سلباً على حضاراته المختلفة، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة الأميركية التي تمثل اليوم القوة الكبرى الوحيدة عالمياً تعاني من إشكاليات كبيرة، ومن ثم فهي في سبيلها نحو فقدان مصداقيتها الأخلاقية في العالم، بما يؤثر سلباً على صورتها الذهنية. وفيما يتعلق بالفترة الأوروبية التي كانت «تتشدد في السابق أمام موطنها بالمبادئ الإنسانية والأخلاقية»، يرى المؤلف أنها تتعرض اليوم لبعض الخلل، في الوقت الذي يتعكس فيه العالم العربي والإسلامي في قلب أزمة عميقة تلقى بدورها شعوبه الانتعاشات السلبية لذلك على العالم أجمع. ويقول معلوف: «في ظل العولمة التي نحياها، والتقدم التكنولوجي الذي نشهده، من الصعب الفصل بين الشعوب بعضها البعض، ومن ثم حضارات الشعوب نظراً لانتمائها بعضها ببعض ارتباطاً عضوياً. فهناك أمم ناشئة أو وليدة، مثل الصين

والهند وروسيا، تظهر بقوة الآن على الساحة الدولية التي يسيطر عليها سياق التسليح، ويفرض نفسه على الجميع، فضلاً عن التهديدات الخطيرة المتعلقة بالمنافسة والبيئة والصحة، وهي تهديدات تلقى بثقلها على الكوكب، وبالتالي لن تمكن من مجابهتها إلا بالتضامن الشامل الذي يجب أن تتحلى به لأنه يمثل السبيل الوحيد أمامنا للخلاص من التهديدات المحدقة بنا».

ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة، ليس فقط لمكانة مؤلفه أمين معلوف في قلب المجتمع الغربي الذي منحه جوائز علمية كثيرة، وكرمه بعضوية الأكاديمية الفرنسية لآداب والفنون، ومكانته الخاصة لدى صانع القرار الأوروبي، ولكن أيضاً لأهمية وحساسية الموضوعات التي يطرحها على قارنيه، وهي موضوعات يتابعها عن كثب شديد منذ أكثر من نصف قرن، فقد كان في مدينة «سايفون»، بفرنسا نهاية الحرب هناك، كما كان في طهران كذلك إبان ظهور الجمهورية الإسلامية، أي أن الكاتب كان شاهداً عياناً على أحداث مهمة فريدة غيرت من شأن المشهد السياسي العالمي، ليؤكد لنا إلى أي مدى استطاعت هذه الأحداث التي عايشها، وكان واحداً من شهودها العيان القلائل، أن تغير السلوكيات المجتمعية، ومن ثم الحضارات الإنسانية، لتضعها على «عتبة الغرق»، خصوصاً أن تأثير هذه الأحداث قد تجاوز نطاقها الجغرافي، ليمتد إلى ما هو أبعد من ذلك، أي أننا أمام تأثير شامل لهذه الأحداث التي يتعرض لها المؤلف بأسلوب سهل سلس، يلبس عليه الطابع السري التاريخي، لينقل لنا خبراته الخاصة، ويشرح لنا الانجرافات والانحرافات

والمتتالية التي أصابت الإنسانية، لتضعها على عتبة الغرق. فعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والتكنولوجي قد أدى إلى عدم الاستقرار الاقتصادي، بالإضافة إلى إشكالية كبرى تكمن في الإنسان نفسه الذي بدأ يسيطر عليه الفساد والجشع والعنف جراء أمراض مجتمعية يجب معالجتها أسبانياً أولاً.

تشريح العالم

وعلى ضوء ذلك، يقدم معلوف صورة بانورامية للعالم، مؤكداً أنه منذ أمد طويل تصيبه بعض علامات الذبول الاجتماعي والانجراف السياسي اللذين شهدا صعوداً كبيراً عام 2010، أي في أعقاب الأزمة المالية التي ضربت العالم في 2008. ولكن لا يجب أن نلقي باللوم بشكل تام وكامل على البعد الاقتصادي والأزمة المالية فقط، كما يقول، لأن الأزمة الحقيقية ذات طابع اجتماعي وأخلاقي في المقام الأول، مشيراً في هذه الصدد إلى أن التوزيع غير العادل للثروات - على سبيل المثال - وكذلك نقص الخدمات الاجتماعية المقدمة للمواطنين، تؤدي إلى انتشار سياسة العنف الاجتماعي التي تؤدي إلى الفوضى السياسية التي تغذي بدورها حالة التفسخ الجزئي التي تصيب صفة القادة، وتغذي كذلك التوترات والعنف النوعي في كل بلد، بما في ذلك الدول المتقدمة التي تعاني فيها الطبقة المتوسطة. وفيما يتعلق بالقارة الأفريقية، يرى المؤلف أنها تشهد هي الأخرى بعض علامات عدم الاستقرار وتفسخ الحضارات، مثلما هو الحال في مالي والكونغو وبعض مناطق عدم الاستقرار منذ أمد طويل، كما في الصومال

لطيفة الدليمي

عن معضلة الهوية في القرن الحادي والعشرين، يطرح أمين معلوف في كتابه (الهويات القاتلة) سؤال الكينونة عبر تعدد الهويات في بلدان الهجرة أو بلداننا ذاتها، هل الهوية هي ما نكونه في قرارة أنفسنا أي ما نرثه من انتماء قوي وعميق لمنطقة جغرافية وشعبها ولغتها وتاريخها؟

أم نحن -إضافة إلى ذلك- نمثل مجموع ما اكتسبناه من تجربة العيش والثقافات والانتماء إلى العصر والتحويلات التي طرأت على شخصياتنا خلال عبورنا للأزمة والأمة؟ نسال أنفسنا مرات من نحن؟ وسالنا آخرون من انتم؟ يقول أمين معلوف: - يجب أن يضطلع كل منا بتقوئه الخاص واعتبار هويته محصلة لانتماءاته العديدة بدلاً من حصرها في انتماء واحد فرعه إلى مستوى الانتماء الأسمى، ويصبح أداة للاستعداد وأحياناً أداة للحرب (...). وعلى هذا النحو يجب على المجتمعات الاضطلاع بالانتماءات المتعددة التي صنعت هويتها، عبر التاريخ وكى يستطيع كل إنسان أن يتعرف إلى ذاته في صورة البلد الذي يعيش فيه مواطناً بكيان إنساني متطور. يشير أمين معلوف إلى أن حصر الهوية في موقف متحيز ومتعصب، متشدد ومهيمن، وحتى انتحاري في بعض الأحيان، غالباً ما يحول البشر إلى قتلة أو أتباع قتلة، فتتشوه رؤيتهم للعالم وتتحرف، ويصبح الاستبداد وسيلتهم الوحيدة للتعامل مع الآخرين. في طرح أمين معلوف تبدو كلمة هوية مفردة مضللة، فهي توحي أولاً بحق مشروع في الانتماء لجهة ما ثم تتحول إلى أداة قتال، وهذا الإنزياح الدلالي للمفردة يبدو طبيعياً، فينخدع به البعض ويقوم بشجب ظلم يمارس على أقلية ويدافع عن حقوق شعب يعاني ثم يتواطأ مع مجزرة ترتكب في حق آخرين. يبدو لي أن هشاشة الفرد وعزله إزاء التحولات المتسارعة في العالم الراهن وعدم قدرته على استيعاب المستجدات بسبب من تأطير وجوده ضمن محددات ومحظورات معينة أو في مواجهة ما يعده مهدداً لحياته يدفع به إلى التشبث بجماعة أو طائفة أو حزب أو عرق ينضوي تحت رايته ليواجه ما يعتبره عدائية العالم المحيط، وتنمو في أعماقه عقدة الضحية التي ستضخم له بمرور الوقت ضرورة المجابهة القتالية لأنه يحس الإضرار العام المشاركة في صنع الأحداث، وبالتالي يتعمق لديه الشعور بالتهميش، ويعزل؛ مصيره عن المصير العام ويعجز عن المشاركة في المغامرة البشرية، مما يعزز تعصبه وعدائه لكل من حوله بدعوى الحفاظ على الهوية التي تحولت بالانتقال إلى أداة تدمير للذات والآخرين

. يتساءل أمين معلوف: لماذا يبدو من الصعب جداً على المرء الاعتراف بجميع انتماءاته بحرية تامة؟ ولماذا يجب أن يترافق تأكيد الذات هذه مع إلغاء الآخرين في أغلب الأحيان؟ لماذا تكون مجتمعاتنا عرضة للتوتر والعنف لأن أناسها لا ينتمون للديانة أو الطائفة أو الثقافة ذاتها؟ أهو قانون الطبيعة أم قانون التاريخ هو الذي يحكم على البشر بالتناحر باسم الهوية؟ يدرج أمين معلوف مقولة أساسية للمؤرخ مارك بلوخ عن هشاشة الانتماء للماضي ولانتماقية مع تدفق التغيير في حياتنا، يقول بلوخ (الرجال هم أبناء عصرهم أكثر من



كأنهم أبناء آبائهم) هذه هي العلة في مجتمعاتنا التي لاتحيا حاضرها ولاترتنو لمستقبل. إذا عاشت حاضرها تداولته مستعبداً لإشباح الأسلاف وتقاليد الأمس، مجتمعاتنا المهتمك شغوف حد الموت بالماضي ويتقليد الإباء والإجداد فيما اختلوا وفيما فعلوا دون مناقشة جدوى ذلك أو علاقته بصنع المستقبل، إن وجودنا في العصر يجعل المشتريات بيننا وبين أناس من شعوب أخرى أكثر مما يربطنا بأسلافنا فالملبس والأكل والعبادات والمفاهيم وطرق العيش والتفكير إنما هي مشتركة بين الناس راننا ولاتقف الهويات عائقاً دون ادراك هذه المشتركات.



manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

مخبر

مكي

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الايخراج الفني

حيدر الكواز

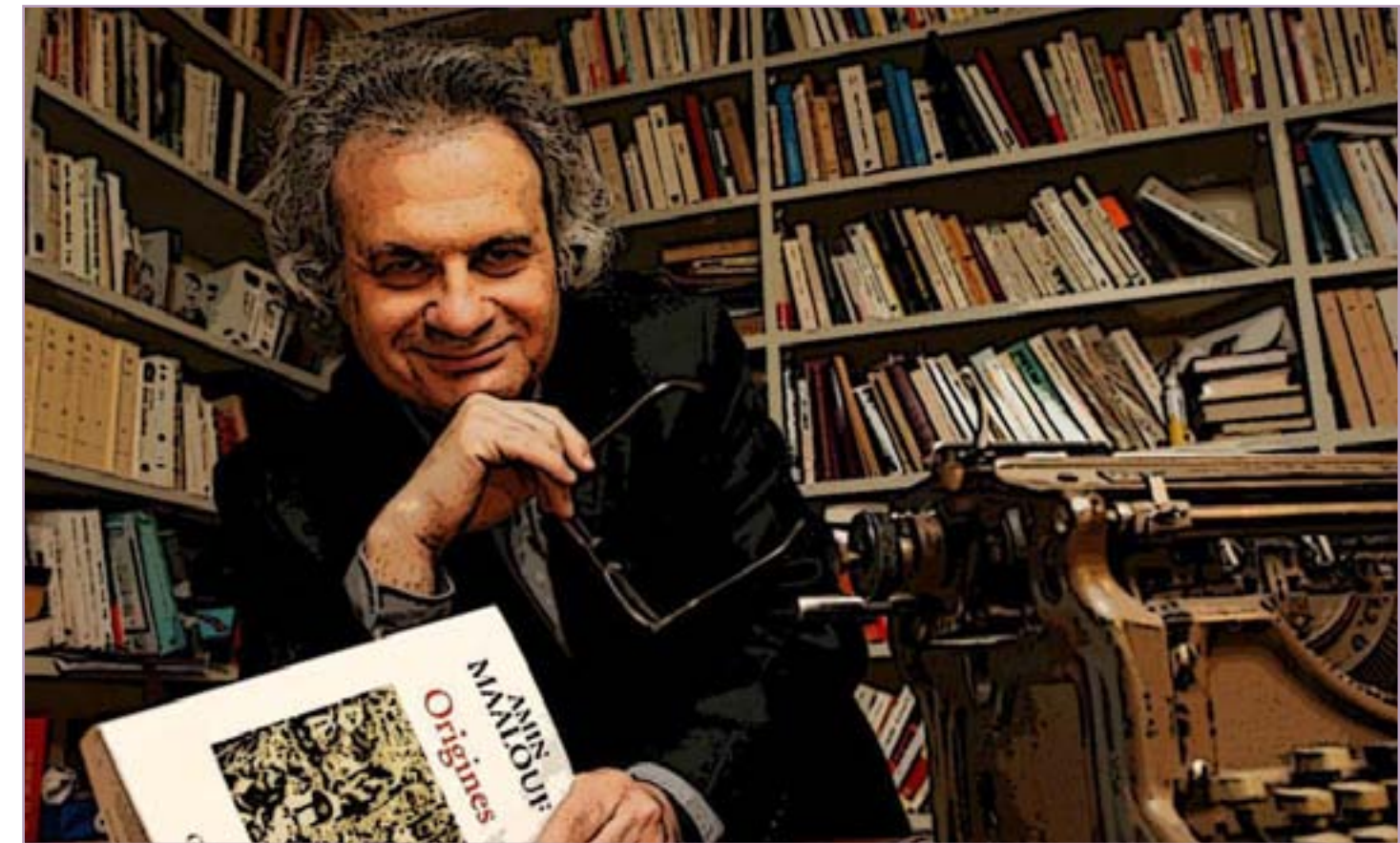
صارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى

مكي

للاعلام والثقافة والفنون

ويقع الكتاب في 336 صفحة من القطع المتوسط، ويستله المؤلف بتأكيد «أهمية إعطاء تحليلاته مزيداً من الاهتمام»، لافتاً إلى أن «حواصه تستنبط التنبؤات حيال موضوعات كبرى مهمة قبل أن تفرض



عن: الحوار المتمم

أمين معلوف..

كُتِبَ للغرب عن الشرق وسحره



بعد عام من اندلاع الحرب الأهلية في لبنان رحل الروائي أمين معلوف إلى باريس ليمارس مهنة الصحافة مجدداً.

قُلب الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، الكاتب اللبناني والروائي اللبناني، أمين معلوف، وسام الاستحقاق الوطني. وجرت المراسم في قصر الإليزيه يوم ٢٩ شباط ٢٠٢٠ وذلك تقديراً لعطاءه وجهوده وإنجازاته في عالم الآداب.

وفيما يلي نبذة عن حياة معلوف وإنتاجاته الأدبية التي نشرت بأربعين لغة حول العالم.

أبصر أمين معلوف النور في حي بدارو في ٢٥ شباط ١٩٤٩ في العاصمة اللبنانية وتعلم في مدارسها حصلاً على شهادة في علم الاجتماع في جامعة القديس يوسف الفرنكوفونية في بيروت. ويقول أمين معلوف إن كون الشخص مسيحياً في الشرق "يخلق لدى المرء إحساساً بأنه هامشي رغم أن عائلة معلوف كان لها باع طويل في الشعر والأدب العربيين، فأحد أعمامه ترجم أعمال موليير إلى العربية، أما فوزي معلوف فهو من أبرز شعراء المهجر ويلقب برامبو العربي. أما والده فكان مديعاً وشاعراً وكان يقدم برنامجاً

إذاعياً عن الموسيقى الكلاسيكية الغربية وكان صاحب صحيفة وكتب مقالات عن الديمقراطية البرلمانية.

عام ١٩٧١ تزوج أمين معلوف من أندريه معلوف التي كانت تعمل مدرسة للصم والبكم في بيروت، وقال عنها زوجها إنها كانت أول قارئة لكتاباتاته وكانت قاسية جداً في تقييمها لما كان يكتبه. وأنجبا ثلاثة أبناء في بيروت قبيل اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥.

في سن الثانية والعشرين بدأ العمل في جريدة النهار اللبنانية التي كان يملكها غسان تويني، أحد أعمدة السياسة والفكر في لبنان، وبدأ بالترحال حول العالم لتغطية الأخبار العالمية فزار ٦٠ بلداً. وأجرى مقابلة مع رئيس وزراء الهند الراحل، أنديرا غاندي، كما كان شاهداً على الإطاحة بحكم إمبراطور إثيوبيا، هيلا سيلاسي، على يد انفسقو هايلا مريام عام ١٩٧٤ وسقوط سايبغون على يد الثوار الفيتناميين الشماليين عام ١٩٧٥. كما كان شاهداً على عراق وتبادل إطلاق النار بين مجموعة من الفلسطينيين ومسلحين مسيحيين قرب مكان إقامته وكانت الحادثة "مقتل ٢٠

شخصاً" ويات مع زوجته الحامل وابنه الصغير في قبو المبنى حتى الصباح، وبغية تفادي الانجرار إلى الحرب المجنونة التي اجتاحت البلد ولكي لا يصبح طرفاً فيها استقل الروائي سفينة أقلته إلى جزيرة قبرص وبعدها رحل إلى العاصمة الفرنسية باريس. وبعدها شهرين لحقت به زوجته وأطفاله الثلاثة.

عمل في البداية في مجلة جون أفريك وبدأ يكتب أول مرة في حياته باللغة الفرنسية وأصبح لاحقاً رئيس تحرير المجلة. خلال عامي ١٩٧٩ و١٩٨٢ كان مدير طبعة جريدة النهار الأسبوعية التي كانت تصدر في باريس قبل أن يعود إلى جون أفريك. أصدر معلوف كتابه الأول بالفرنسية "الحروب الصليبية كما رآها العرب" عام ١٩٨٣ وظل هذا الكتاب الذي ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية يلقي الرواج لمدة عشرين عاماً ولم تراجع مبيعاته خلال كل تلك المدة.

يقول معلوف إنه كان شغوفا منذ البداية بالكتابة الروائية، فعلاقته مع الواقع الذي يعيشه مضطربة، "أنا شخص دائم وأحاول الهروب باستمرار من الواقع". ويضيف: "لا أشعر بالانسجام مع

العصر والمجتمع اللذين أعيش فيهما". عام ١٩٨٦ صدرت أولى رواياته "ليون الأفريقي" التي تتناول السيرة الحقيقية للرحالة الحسن الوزان الذي فر من الأندلس بعد سقوط غرناطة إلى فاس وجح إلى مكة وبعدها تحول إلى المسيحية. وكان عمله الثاني رواية "سمرقند" عام ١٩٨٨ التي تناولت سيرة الشاعر الفارسي، عمر الخيام، صاحب رباعيات الخيام.

أما رواية "حدائق النور" عام ١٩٩١ فهي عن حياة مؤسس الديانة المانوية في بلاد فارس ماني الذي عاش في القرن الثالث الميلادي

كما ألف معلوف روايتين تستعيدان الماضي القريب للبنان وللمنطقة، هما "صحرة طانيوس" عام ١٩٩٣ التي نال عنها جائزة "غونكور" كبرى الجوائز الأدبية الفرنسية و(موانئ الشرق) عام ١٩٩٦.

أما كتابه "الهويات القاتلة" صدرت عام ١٩٩٨ لتلتها رواية "رحلة بالداसार" ٢٠٠٠. وصدرت له رواية معاصرة الأجواء والشخصيات وتتناول فترة الحرب الأهلية (التائهون)، وأصدر أيضاً كتاب (البدائيات) عام ٢٠٠٤، وهو سيرة ذاتية تستعيد تاريخ عائلته.